إن المصادر الأصلية للأحكام الشرعية مصدران هما: القرآن الكريم والسنة الشريفة فهما المصدران الرئيسان للتشريع الإسلامي وأحكامها حجة على المسلمين كافة فمنهما تستمد الأحكام وبتعاليمها يتقيد الاجتهاد. وقد تناولا بالحكم أمور العقيدة والأخلاق بالتفصيل الدقيق وتناولا أغلب أمور الدنيا بسوق المبادئ العامة التي تولى صحابة الرسول وأئمة المسلمين تفصيلها واستنباط الأحكام الجزئية منها. وسنتناول بالبحث هذين المصدرين الرئيسين في مبحثين متعاقبين.

المبحث الأول

القرآن الكريم

التحديد الجامع لمعنى القرآن الكريم:

هو كتاب الله تعالى الذي تنزل بطريق الوحي لفظًا ومعنى على رسوله محمد ﷺ بلسان عربي ونقل إلينا نقلًا متواترًا والذي تضمنه دفتا المصحف الشريف البادئ بسورة الفاتحة والمنتهي بسورة الناس وجاء تنزيله منجمًا استغرق ثلاثة وعشرين عامًا. وتم تدوينه في حياة الرسول الكريم، وقد اشتمل على ستة آلاف وأربع آية تناثرت بين مائة وأربع عشرة سورة وتوزعت على ثلاثين جزءًا.

كثير من الصحابة وضياع ما يحتفظون به من مدونات لكثير من الآيات. وقد تولى جمع آياته وسوره في مصحف واحد زيد بن ثابت بأمر من أبي بكر رضي الله تعالى عنهما مستعينًا بصدور الحفاظ الصحف الكُتَّاب المدونة بحضور الملأ من المهاجرين والأنصار وقد انتقل المصحف الجامع من أبي بكر إلى عمر إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر. ثم خطا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه خطوة أخرى أقدم عليها بعد أن لوحظ اختلاف قراء الأمصار في قراءة بعض حروف القرآن الكريم تبعًا لاختلاف لهجاتهم فأخذ المصحف الشريف من حفصة بنت عمر أم المؤمنين، واستنسخ منه ست نسخ بعث بخمس منها إلى الأمصار وهي الكوفة والبصرة والشام واليمن، لتوضع في جوامعها وأبقى لنفسه مصحفًا منها سمي بالمصحف الإمام وأمر بحرق ما سوى ذلك مما دُوِّن رغبة منه في القضاء على الاختلاف في تلاوة الكتاب.

ثم توالت خطوات أخرى للقضاء على كل خلاف في قراءة المصحف الشريف فقام نصر ابن عاصم بأمر من زياد بن أبيه بوضع النقاط على حروف كلماته وقام أبو الأسود الدؤلي بتكليف من الحجاج بن يوسف الثقفي بوضع الحركات في أواخر الكلمات وقام الخليل بن أحمد الفراهيدي بعدئذ بوضع الحركات على كل حروف الفرقان.

محتوى القرآن الكريم:

تصدى القرآن الكريم لحكم شئون الدين والدنيا فتضمن ما يأتي:

أولاً- العقيدة التي يجب على المسلم اعتناقها لتكون حدًّا بين الكفر والإيمان. وهي الإيمان بالله تعالى وعدم الإشراك به والإيمان برسالة نبيه محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتسمى أحكامه في هذا الشأن الأحكام العقائدية.

ثانيًا- الأخلاق الفاضلة التي يجب التحلي بها لإصلاح شئون الفرد والمجتمع وتسمى أحكامه في هذا الصدد الأحكام الوجدانيه.

ثالثًا- التدبر في ملكوت السموات والأرض للتعرف على أسرار الكون وإدراك عظمة الباري عز وجل.

رابعًا- التعريف بقصص الأولين إرشادًا إلى ما يعامل الله به خلقه من الصالحين والمفسدين.

المبحث الثاني

السنة النبوية الشريفة

تعريف السنة:

السنة لغة، تعني الطريقة المعتادة أو العادة المستمرة وقد وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف بهذا المعنى فقال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ و ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى القيامة» وقد استعملت بهذا المعنى شرعًا ليقصد بها الطريقة التي طبق بها الرسول أوامر القرآن وفق ما تبين له من دلالته ومقاصده.

أما اصطلاحًا فلها معنيان أحدهما: أقره الفقهاء، وثانيهما حدده علماء الأصول فهي تعني عند الفقهاء الصفة الشرعية للفعل المطلوب على نحو غير حتمي بحيث يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه فقالوا هذا الفعل سنة لا واجبًا أما علماء الأصول فقد قصدوا بها ما صدر عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير فقالوا: ثبت هذا الحكم بالسنة لا بالكتاب وعليه فإن السنة إذ تعني عند الأصوليين دليلاً من أدلة الأحكام فهي لا تعني عند الفقهاء غير حكم شرعي يثبت للفعل بالدليل.

وواضح أن ما نقف عنده من معنى للسنة هو المعنى الذي قصده علماء الأصول ما دمنا نتعرض للبحث في مسائل علم أصول الفقه ومنها أدلة الأحكام الشرعية.

(٢) ما صدر عن الرسول من أقوال وفعال بمقتضى تجاربه وخبرته في الشؤون
من تجارة وزراعة وتنظيم الجيش وتدبر أمور الحرب ووصف الدواء. فأن كل ذلك
تشريعًا لأنه لم يصدر عن الرسالة والوحي وإنما جاء ثمرة تقدير شخصي
عن الرسول ﷺ: فقد أنزل الجيش في موقعة بدر في مكان فقال له أحد أصحابه[1]: هل
أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة فأجاب
ﷺ «بل هو الرأي والحرب والمكيدة» فقال الصحابي: (ليس هذا بمنزل) وأشار بالنزول
في مكان آخر فاستجاب الرسول لرأيه وأمر بتحويل الجيش إلى المكان الذي عينه
وروى عن الرسول ﷺ أنه أشار على أهل المدينة في سنة بعدم تأبير النخل أي تلقيحه
بمشورته فلما تلف في السنة وعلم الرسول بذلك قال لهم عليه الصلاة والسلام «أنتم
بشئون دنياكم».

(٣) ما صدر عن الرسول من أفعال دل الدليل على أنها خاصة به وحده فلا تكون
مثله فيها كوصاله في الصوم، وزواجه بأكثر من أربع، والتهجد في الليل، والنكاح بلفظ
وتحريم نسائه بعده، وقبوله شهادة خزيمة وحده، وعليه فإن كل ما خص الله به ر
ويسمى خصوصيات الرسول لا يعتبر تشريعًا لأمته.

أنواع السنة باعتبار ذاتها:

ولما كانت السنة تعني ما أسند إلى الرسول من قول أو فعل أو تقرير فهي تتنوع باعت
ذاتها أي من حيث متنها على أنواع ثلاثة هي السنة القولية، والسنة الفعلية، والسنة التقريرية
وسنتناولها بالبحث الوجيز فيما يلي:

أولاً: السنة القولية:

وتعني ما صدر عن الرسول ﷺ من كلام وتسمى الحديث غير أن أحاديث الرسول
تكون على نوعين هما: الحديث القدسي والحديث النبوي: أما الحديث القدسي فيعني ما رواه

(١) نقلًا عن عباس متولي حمادة أصول الفقه ص ١٠٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرسول ﷺ عن ربه فهو وحي من الله تعالى ولكنه لم ينزل وحيًا بلفظه وإنما ألهم الله الرسول ﷺ معناه. وتصح نسبته عند روايته إلى الله تعالى أو إلى الرسول كأن يقال: قال الله فيما يرويه عنه الرسول ﷺ: أو قال الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه. وتركز الأحاديث القدسية اهتمامها على القيم الإنسانية الرفيعة كالدعوة إلى العدل والرحمة والوئام واستنكار الظلم والقطيعة، ومن أمثلة ما رواه الرسول ﷺ عن ربه قوله[1]: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم» وأما الحديث النبوي فيعني ما صدر عن الرسول ﷺ من كلام في أغراض متنوعة ومناسبات متفاوتة كقوله عليه الصلاة والسلام «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، وقوله: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

ثانيًا- السنة الفعلية:

ويراد بها أفعال الرسول ﷺ المعتبرة تشريعًا يتبعه المسلمون لأنها صدرت منه باعتباره مبلغًا أحكام الله ككيفية أدائه الصلاة ومناسك الحج وإقامته الحد على الجناة وقضائه بشاهد واحد ويمين المدعي وما وقع منه في المعاملات المالية.

ثالثًا- السنة التقريرية:

ويقصد بها سكوت الرسول ﷺ عن إنكار قول أو فعل صدر من غيره في حضرته أو من خلفه ثم بلغ به سواء كان سكوتًا مع القدرة على الإنكار فحسب، أو سكوتًا مقرونًا بإظهار علامات الرضا والاستبشار، ومن أمثلة السنة التقريرية عدم إنكار لعب الغلمان بالحراب في المسجد، وسكوته عن أكل بعض أصحابه الضب على مائدته مع امتناعه عن أكله ويعتبر سكوت الرسول ﷺ عن الإنكار تقريرًا منه ودليلاً على الجواز والأخذ به.